الإسلام وحفظ الجميل

ديننا الإسلامي الحنيف دين يحثّ على مكارم الأخلاق ويدعو إليها، لأنه قــد جــاء ليــتمم تلــك المكارم ويُعلي من شأنها:

- حم خد كم لبن: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [إِنَّمَــا بُعِثْــتُ لأُتَمِّــمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ]. وفي رواية [مكارم الأخلاق].
- حم مي شيبة: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًــا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا].

ومن حسن أخلاق المسلم حفظ المعروف ورد الجميل ومقابلة الإحــسان بالإحــسان، والمكافــأة للمعروف بمثله أو أحسن منه والدعاء لصاحبه:

- قال الله تعالى: "وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ" (القصص:٧٧١)
- وقال تعالى: "هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ" (الرحمن:٦٠)
- وقال تعالى: "وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَــدْ جَعَلْــتُمُ اللّــهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ" (النحل:٩١)
- حم خد د ت حب: عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [لاَ يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ].
- حم خد د نك: عَنِ ابْنِ عُمَرَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنِ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِيرُوهُ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَــمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ، حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ]. وفي رواية: [مَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَــأَعْطُوهُ، وَمَــنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ أَهْدَى لَكُمْ فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُوهُ فَادْعُوا لَهُ].
- ت: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: [مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ].
- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد).
- وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلَّ نعمة زالــت عــن قوم فعادت إليهم).

ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في حفظ الجميل ورده، وفي الوفـاء لمـن أحسن:

١= فها هو صلى الله عليه وسلم يرد الجميل لعمه أبي طالب الذي تكفل بتربيته بعد وفاة جده عبد المطلب، فلا ينسى له ذلك، فحينما يتزوج السيدة خديجة رضي الله عنه يأخذ ابن عمه علياً في كنفه ورعايته رداً لجميل عمه ومساعدة له.

٢= وضرب النموذج الأعلى في الوفاء للزوجة التي واسته ووقفت بجواره، فلم يتنكر لهـا، ولـم ينس جميلها:

- حم طك: عن عائشة رضي الله عنها قالت: [كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة، فيحسن عليها الثناء، فذكرها يوما من الأيام، فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا، فقد أبدلك الله عز وجل خيرا منها؟ فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أخلف الله لي خيرا منها، وقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني وكذبني الناس، وواستني من مالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل الأولاد منها، إذ حرمني أولاد النساء. قالت عائشة رضي الله عنها: فقلت: بيني وبين نفسي لا أذكرها بسيئة أبدا].
- م: عن عائشة رضي الله عنها [أن النبي عليه السلام كان إذا ذبح الشاة قال: أرسلوا إلى أصدقاء خديجة، فَذُكِرَتْ له يومًا، فقال: إني لأحب حبيبها]. وفي رواية: [إني رزقت حبها].
- كم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: [جاءت عجوز إلى النبي عليه السلام وهو عندي، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية، قال: بل أنت حسّانة المزنية، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدها؟. قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله, فلما خرجت، قلت: يا رسول الله، تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال، قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة, وإن حسن العهد من الإيمان].
- م: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: [لَمْ يَتَزَوَّج النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَة حَتَّى مَاتَتْ]. فَمِمَّا كَافَأَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ خَدِيجَة فِي الدُّنْيَا أَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّج فِي حَيَاتهَا غَيْرهَا، وَفِيهِ دَلِيل عَلَى عِظَمِ قَدْرهَا عِنْده وَعَلَى مَزِيد فَضْلهَا، لِأَنَّهَا أَغْنَتْهُ عَنْ غَيْرهَا، وَاخْتَصَّتْ بِهِ بِقَدْرِ مَا اِشْتَرَكَ فِيهِ

غَيْرِهَا مَرَّتَيْنِ، لِأَنَّهُ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَ بَعْد أَنْ تَزَوَّجَهَا ثَمَانِيَة وَثَلَاثِينَ عَامًا، اِنْفَــرَدَتْ خَدِيجَة مِنْهَا بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ عَامًا وَهِيَ نَحْو الثُّلُثَيْنِ مِنْ الْمَجْمُوع، وَمَعَ طُول الْمُــدَّة فَــصَانَ قَلْبهَا فِيهَا مِنْ الْغَيْرَة، وَمِنْ نَكَد الضَّرَائِر، الَّذِي رُبَّمَا حَصَلَ لَهُ هُوَ مِنْهُ مَا يُشَوِّش عَلَيْهِ بِــذَلِكَ، وَهِيَ فَضِيلَة لَمْ يُشَارِكهَا فِيهَا غَيْرهَا.

- قَالَ النَّوَوِيّ: (فِي هَذِهِ الْأَحَادِيث دَلَالَة لِحُسْنِ الْعَهْد، وَحِفْظ الْوُدّ، وَرِعَايَــة حُرْمَــة الــصَّاحِب وَالْمُعَاشِر حَيًّا وَمَيِّتًا، وَإِكْرَام مَعَارِف ذَلِكَ الصَّاحِب)أهـ.

٣= **ولقد أعطى صلى الله عليه وسلم عمه العباس قميصه لما جئ به أسيراً يوم بدر**، رداً للجميل ووفاء لمواقفه معه وبخاصة في بيعة العقبة[1].

٤= **وليس ذلك خلقاً منه صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته وعشيرته بل مع جميع أصحابه فها هو صلى الله عليه وسلم يذكر فضل أبي بكر ومواقفه الطيبة معه:**

ت جه: عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ، مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِى مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِى مَالُ أَبِى بَكْــرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلاَ وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ].

٥= **وكان من وفائه لأصحابه موقفه مع حاطب بن أبي بلتعة مع ما بدر منه حين أفشى سر النبــي صلى الله عليه وسلم عندما كان صحبه الكرام في أشد المواقف خطورة:**

خ: عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: [بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَا وَالزُّبَيْــرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَــا. فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا: أَخْرِجِى الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِى مِنْ كِتَابٍ. فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ. فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّــهِ صلى الله عليه وسلم، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: يَا حَاطِــبُ، مَــا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَىَّ، إِنِّى كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا في قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِى ذَلِــكَ مِــنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِى، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْــدَ

[1] انظر: صحيح السيرة النبوية، ص٦٢٢،٦٢١؛ السيرة لأبي شهبة (٢٨٥٣٤).

الإِسْلاَمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَقَدْ صَدَقَكُمْ. قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ].

٦= بل كان صلى الله عليه وسلم يحفظ الجميل مع غير المسلمين من الذين لم يؤذوه ولم يعادوه، وكانت لهم مواقف طيبة معه.

١/٦: الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ: مات كافراً، ولكن من مآثره أنه سعى في نقض الصحيفة التي علقتها قريش على الكعبة وفيها مقاطعة بني هاشم وبني المطلب لأنهم نصروا النبي صلى الله عليه و سلم. وذكر ابن هشام موقفاً آخر له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل الطائف ولم يجيبوه لما دعاهم إليه من تصديقه ونصرته صار إلى حراء ثم بعث إلى الاخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال إن بني عامر لا تجير على بنى كعب فبعث إلى الْمُطْعِمِ بْن عَدِيٍّ فأجابه إلى ذلك، ثم تسلح الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله[١].

ولأجل هذه السابقة التي سلفت للمطعم بن عدى:

خ د حم: عن جُبَيْرِ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ [أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ].

٢/٦: أبو البختري: كان في صف المشركين يوم بدر فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتله، قال ابن هشام: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: (وَإِنّمَا نَهَى رَسُولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيّ لِأَنّهُ كَانَ أَكَفّ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ وَهُوَ بِمَكّةَ وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ وَكَانَ مِمّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصّحِيفَةِ الّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ)[٢].

٧= وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقص على أصحابه قصص الأمم من قبلنا التي تؤكد معاني الوفاء وحفظ الجميل:

---

[1] عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ابن سيد الناس ١٧٩/١.

[2] ابن هشام: السيرة النبوية ٦٢٨/١. والبيهقي: دلائل النبوة ١٤٤/٢.

خ: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: [إِنَّ ثَلاَثَـةً فـي بَنِـي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا:

- فَأَتَى الأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّى الَّذِى قَدْ قَذِرَنِى النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ، وَأُعْطِىَ لَوْنًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا. ثم قَالَ: فَأَىُّ الْمَـالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، فَأُعْطِىَ نَاقَةً عُشَرَاءَ. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.
- فَأَتَى الأَقْرَعَ، فقَالَ: أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّى هَـذَا الَّـذِى قَـذِرَنِى النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأُعْطِىَ شَعَرًا حَسَنًا. ثم قَالَ: فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَـالَ: الْبَقَـرُ. فَأُعْطِىَ بَقَرَةً حَامِلاً. فَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا.
- فَأَتَى الأَعْمَى، فقَالَ: أَىُّ شَىْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَىَّ بَصَرِى فَأُبْـصِرَ بِـهِ النَّـاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. ثم قال: فَأَىُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِىَ شَاةً وَالِدًا.

فَأُنْتِجَ هَذَانِ، وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

- ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، قَدِ انْقَطَعَتْ بِىَ الْحِبَالُ في سَفَرِى، فَلاَ بَلاَغَ لِىَ الْيَـوْمَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ؛ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْـهِ في سَفَرِى. فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّى أَعْرِفُكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيـرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّـهُ إِلَى مَا كُنْتَ.
- وَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْـتَ كَاذِبًـا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.
- وَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ، وَابْنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِىَ الْحِبَالُ في سَفَرِى، فَلاَ بَـلاَغَ لِـىَ الْيَوْمَ إِلاَّ بِاللهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِى رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؛ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا في سَفَرِى. فَقَالَ: قَدْ كُنْـتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَىَّ بَصَرِى، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَـيْئًا أَخَذْتَـهُ لِلَّهِ.

فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِىَ عَنْكَ، وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ].

حفظ الجميل كان صفة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

خ: عن كعب بن مالك رضي الله عنه لما بُـشر بتوبة الله تعالى عليه انطلق مسرعاً للنبي صـلى الله عليه وسلم فرحاً بذلك، فقال عن نفسه: (دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسـلم جـالس

وحوله الناس، فقام طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره). فكان كعب لا ينساها لطلحة.

وعدم رد أمانات الناس نوع من نكران الجميل، وعدم حفظه، وهذا ليس من أخلاق المؤمن، فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها، ويسوؤها من يقابل الحسنة بالسيئة:

خ حم جه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: [مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا، أَدَّاهَا اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا، أَتْلَفَهُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ].

قال المتنبي:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريمَ ملكتَهُ... وإنْ أنتَ أكرمتَ اللَّئيمَ تمرَّدا

ووضعُ النَّدَى في موضعِ السَّيْفِ بالعُلا... مضرٌّ كوضعِ السَّيْفِ في موضعِ النَّدَى

قال علي بن فضال المجاشعي:

وإخوَانٍ حسِبتهُمُ دُرُوعاً... فكانوها ولكنْ للأَعَادِي

وخلتُهُمُ سِهاماً صائباتٍ... فكانوها ولكنْ في فُؤادِي

وقالوا: قد صَفَتْ منَّا قُلوبٌ... لقدْ صَدَقوا ولكنْ من ودَادِي

وقالوا: قدْ سَعينَا كلّ سَعْيٍ ... لقدْ صَدَقوا ولكنْ في فَسادِي

ومن اللؤم الموجود عند البعض أن تكرمهم ثم يقابلون إحسانك بالإساءة.

م: عنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ [أَنَّ نَاسًا مِنْ عُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ، فَاجْتَوَوْهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِنْ شِئْتُمْ أَنْ تَخْرُجُوا إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ، فَتَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَفَعَلُوا فَصَحُّوا، ثُمَّ مَالُوا عَلَى الرِّعَاةِ فَقَتَلُوهُمْ، وَارْتَدُّوا عَنِ الإِسْلاَمِ، وَسَاقُوا ذَوْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَبَعَثَ فِي إِثْرِهِمْ، فَأُتِيَ بِهِمْ، فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ، وَتَرَكَهُمْ فِي الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا].

ونزل فيهم قول الله تعالى: "إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرض فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأرض ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ" (المائدة:٣٣)[1].

---

[1] الواحدي: أسباب النزول ١٢٩

الخطبة الثانية

لحفظ جميل من أسدى إلينا معروفاً صور متعددة:

١= الدعاء له، وقد كان هذا دأب الأئمة الكبار:

١- د جه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: [كُنْتُ قَائِدَ أَبِي حِينَ ذَهَبَ بَصَرُهُ فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ بِهِ إِلَى الْجُمُعَةِ فَسَمِعَ الْأَذَانَ اسْتَغْفَرَ لِأَبِي أُمَامَةَ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ وَدَعَا لَهُ، فسأله فقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى بِنَا صَلَاةَ الْجُمُعَةِ، قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ، فِي نَقِيعِ الْخَضِمَاتِ[1]، فِي هَزْمِ النبيت[2]، مِنْ حَرَّةِ بَنِي بَيَاضَةَ[3]. قُلْتُ: كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَرْبَعِينَ رَجُلًا].

٢- وهذا الإمام أبو حنيفة النعمان رحمةالله يقول :(ما دعوت لوالديَّ قط إلا ودعوت لحماد بن أبي سليمان معهم لما له من فضل علي)، بل لقد سمى الإمام أبو حنيفة ابنه حماد على اسم شيخه.

٣- وقال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: (والله ما صليت صلاة إلا وأنا أدعو للشافعي فيها).

٤- والإمام أحمد رحمه الله لا ينسى العلم الجم الذي تعلمه من الإمام الشافعي، فيترجم ذلك الوفاء إلى دعاء حيث قال لما رأى ابن الشافعي: (أبوك من الذين أدعو لهم كل ليلة في السحر بأسمائهم).

فما نصيب من أحسن إليك من دعائك؟ وما يدريك ؟! فلعل من أحسن إليك في سالف الأزمان يتعرض الآن لفتن وشدة وضيق لا يُجلِّيها الله عنه إلا بدعائك له.

٢= ومن صور حفظ الجميل: زيارته والتواصل معه.

١- حم: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُكْثِرُ زِيَارَةَ الْأَنْصَارِ خَاصَّةً وَعَامَّةً فَكَانَ إِذَا زَارَ خَاصَّةً أَتَى الرَّجُلَ فِي مَنْزِلِهِ وَإِذَا زَارَ عَامَّةً أَتَى الْمَسْجِدَ].

٢- م: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: [قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُهَا فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ فَقَالَا لَهَا مَا يُبْكِيكِ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ مَا

---

[1] النقيع موضع اجتماع الماء في الأرض المنخفضة، والخضمات اسم ذلك المكان.

[2] الهزم موضع منخفض من الأرض، والنبيت مكان ذلك الهزم.

[3] الحرة هي الأرض ذات الحجارة السود.

أَبْكِي أَنْ لَا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ مِنْ السَّمَاءِ فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا].

٣= ومنها: تلمس حاجاته والوقوف معه إن أصابته نوائب الدهر.

م حم خد: أن ابن عمر يمشي في الصحراء على دابته فقابله أعرابي فتوقف ابن عمر ونزل، ووقف معه، وقال: ألست ابن فلان بن فلان؟ قال: بلى، ثم ألبسه عمامة كانت عليه، وقال له: اشدد به رأسك، ثم أعطاه دابته، وقال: اركب هذا، فتعجب أصحاب ابن عمر، وقالوا له: إن هذا من الأعراب، وهم يرضون بالقليل، فقال: إن أبا هذا كان وِدّاً لعمر، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي].

٤= ومنها: التحديث بفضله أمام الناس:

١- كما مر معنا في فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بتحديثه بفضل خديجة، وأبي بكر، والمطعم بن عدي.

٢- وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول: (لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس).

فإظهار فضله والتذكير بجميله أمامه وأمام الناس يُشجع صاحب المعروف على الإكثار من الإحسان إلى الآخرين، ويُثَبِّتَه على ما هو فيه من الخير.

٥= ومنها: الإحسان إلى أبنائه في حياته وبعد مماته .

قال ابن سعد في الطبقات: (وكان سعد لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث إليه في كل يوم جفنة فيها ثريد بلحم، أو ثريد بلبن، أو ثريد بخل وزيت، أو بسمن، وأكثر ذلك اللحم، فكانت جفنة سعد تدور مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه)أهـ.

شيبة: عن يحيى بن أبي كثير قال: [كان للنبي صلى الله عليه وسلم مع سعد بن عبادة جفنة تدور معه حيثما دار من نسائه].

وبعد وفاة سعد بن عبادة في عهد عمر بن الخطاب أصابت بني سعد بن عبادة جوائح في زمن بني أمية، فاضطروا معها إلى أن يبيعوا تلك الجفنة، فلم يروا أحداً أجدر أن يشتري تلك الجفنة إلا الخليفة الأموي، فذهبوا بالجفنة إلى هشام بن سليمان بن عبد الملك، فعرضوا تلك الجفنة عليه ففرح، فملأها

دنانير الذهب، ثم صبها في حجرهم، ثم ملأها ذهباً مرة أخرى، وهكذا ثلاث مـــرات، حتـــى قـــرت أعينهم بما أخذوا في مقابلها.

٦= ومنها: الهدية له، مهما صغرت:

فالعبرة فيها التذكير بالفضل والإحسان وليس قيمتها المادية. وقد قيل : لو كان يُهدى إلى الإنسان قيمته لكنت أهديتك الدنيا وما فيها.

١- خ: عَنْ عَائِشَةَ [أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا].

٢- كم: عن أنس بن مالك [أن ملك ذي يزن أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حلة اشتريت بثلاثة وثلاثين بعيرا وناقة، فلبسها النبي صلى الله عليه وسلم مرة].

٣- د: عَنْ إِسْحَقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ اشْـــتَرَى حُلَّـــةً بِبِضْعَةٍ وَعِشْرِينَ قَلُوصًا[1]، فَأَهْدَاهَا إِلَى ذِي يَزَنَ].

وختاماً .. فاحفظ جميل الله إليك، فقد أولاك نعماً لا تحصى، فاحفظ لربك الجميل، وكذا لنبيه صـــلى الله عليه وسلم، وكذا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

فربك جل وعلا يحفظ لك جميلك ويرده إليك، الحسنة بعشر أمثالها، ومضاعفاتها، فكيف بك لا تحفظ جميل الله إليك؟

ت: عن الْمَكِّيّ بْن إِبْرَاهِيمَ قال: (كُنَّا عِنْدَ ابْنِ جُرَيْجٍ الْمَكِّيِّ فَجَاءَ سَائِلٌ فَسَأَلَهُ فَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ لِخَازِنِـــهِ أَعْطِهِ دِينَارًا فَقَالَ مَا عِنْدِي إِلَّا دِينَارٌ إِنْ أَعْطَيْتُهُ لَجُعْتَ وَعِيَالُكَ قَالَ فَغَضِبَ وَقَالَ أَعْطِهِ قَـــالَ الْمَكِّـــيُّ فَنَحْنُ عِنْدَ ابْنِ جُرَيْجٍ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ بِكِتَابٍ وَصُرَّةٍ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ وَفِي الْكِتَابِ إِنِّـــي قَـــدْ بَعَثْتُ خَمْسِينَ دِينَارًا قَالَ فَحَلَّ ابْنُ جُرَيْجٍ الصُّرَّةَ فَعَدَّهَا فَإِذَا هِيَ أَحَدٌ وَخَمْسُونَ دِينَارًا قَالَ فَقَـــالَ ابْـــنُ جُرَيْجٍ لِخَازِنِهِ قَدْ أَعْطَيْتَ وَاحِدًا فَرَدَّهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَزَادَكَ خَمْسِينَ دِينَارًا).

---

[1] القَلُوصُ من النوق هي الشابة منها، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمعها قُلُص، وقَلَائِصُ، وجمع الجمع قِلَاص. راجع مختـــار الـــصحاح ص٢٢٩.